السّاقية

تمثيلية للتلفزيون

بقلم يوسف العاني

المقدمة

(تسجل بصدى .. وتظل خلفيتها ساقية وشجرة)

« وقع في الاسر ...

انجز مهمته البطولية ووقع في الاسر

كان واحدا من ثمانية انجزوا مهمتهم وعادوا

سبعة .. فقد وقع في الاسر ..

احاط به جنود الاعداء في الارض المحتلة

قيدوه .. عذبوه بقسوة .. ارادوا انتزاع

الحقيقة من فمه ..

كان بطلا وظل بطلا ..

●

(اسماعيل مشدود الى شجرة ، ينظر الى امام بثقة وشجاعة.. اسماعيل لا يتكلم ابدا.. بينما نستمع نحن الى ما يجول في خاطره.. بعد قليل من ظهور الصورة .. نستمع الى اسئلة المحقق الاسرائيلي الذي لا يظهر في الصورة .. المشاهد كلها محصورة في اطار الشخصيات دون تفاصيل ومعظم اللقطات قريبة .. حركة الكاميرا قليلة جدا .. تقترب وتبتعد قليلا من والى الشخصيات . .)

الاسرائيلي : اسمك ؟

صوت اسماعيل : اسمي اسماعيل ، واسم ابي هزام .

الاسرائيلي : اسمك ؟

صوت اسماعيل : اسمي اسماعيل واسم ابي عزام .

الاسرائيلي : لا تريد ان تكشف عن اسمك ؟

صوت اسماعيل : اسمي اسماعيل .

الاسرائيلي : مهنتك ؟

صوت اسماعيل : فدائي .

الاسرائيلي : مهنتك ؟

صوت اسماعيل : فدائي .

الاسرائيلي : اضربوه .

(تنهال السياط عليه ، بينما تصبح الصورة غير واضحة ، تمتزج بالموسيقى .. وحين تعود الصورة واضحة تنقطع الموسيقى ، ويستمر التحقيق)

الاسرائيلي : وابوك .. ما مهنته ؟

صوت اسماعيل : شهيد .

الاسرائيلي : ماذا كانت مهنة ابيك ؟

صوت اسماعيل : كان شهيدا .

الاسرائيلي : ماذا كانت مهنته ؟

(قطع الى الام)

الام : كان يستعمل بندقيته بمهارة ومات قريبا من شجرة الليمون في قريتنا قبل عشرين عاما .. دفناه تحت شجرة الليمون ـ هو وبندقيته .. بندقيته لم تصدأ بعد .. رغم السنين الطويلة .. لم تصدأ بعد .. كان ولدي اسماعيل يسألني عن ابيه يوم كان صغيرا .. لقد دفناه تحت شجرة الليمون .. اسماعيل اليوم قريب من شجرة الليمون ، اقرب مني اليها ، اسماعيل كأبيه لا يخشى هيثا .. لا يخشى الذئاب ابدا .

(قطع الى اسماعيل)

الاسرائيلي : ماذا كانت مهنة ابيك ؟

صوت اسماعيل : مات شهيدا .

الاسرائيلي : اضربوه ..

(الصورة تعود غير واضحة حتى ينتهي الضرب)

الاسرائيلي : والان .. الا تتكلم ؟

صوت اسماعيل : اتكلم ؟ عمن اتكلم ؟

الاسرائيلي : دعنا منك ومن ابيك ، وتكلم لنا عن محمود ..

صوت اسماعيل : محمود ؟

(قطع الى محمود)

محمود : لم اتوقع لقاءك يا اسماعيل .. لقد افترقنا منذ سنوات طويلة .. ثم التقينا ثانية واين ؟ في قريتنا .. التقينا انا وانت وكل اصدقائنا .. كم كنت احب قريتي .. كم كنت احب شروق الشمس فيها .. كانت سماؤنا صافية ، صافية ثم تكدر كل شيء .

(قطع الى اسماعيل)

صوت اسماعيل : لقد تكدر كل شيء .

الاسرائيلي : تكلم اين محمود ؟

صوت اسماعيل : محمود كان معنا .

الاسرائيلي : تكلم اين مكان محمود ؟

صوت اسماعيل : كان معنا ، قائدا شجاعا .

(قطع الى محمود)

محمود : سنباشر مهمتنا بعد دقائق ، كونوا حذرين جدا ، وليكن اندفاعنا نحوهم خاطفا وسريعا .. ولينس كل منا الاخر حين نفترق .. لينس اسمه ، لينس مكانه ، لينس مهمته .. لينس علاقته به .. وحين نلتقي ثانية تعود الرابطة من جديد هيا والى اللقاء .

(قطع الى اسماعيل)

الاسرائيلي : الم تلتق بمحمود ؟

صوت اسماعيل : لم التق به .. لقد اصبح محمود انا ،واصبحت انا محمود .. جمعتنا الارض التي اشتعلت والمأساة التي ارتكبت .. جمعتنا النسمة الهابة من قريتي .. واللهب الذي احرق مدينتي .. جمعنا الدرب الواحد .. انا محمود .. ومحمود اسماعيل .. كلنا نفتح الدروب .. بعد ان اقسمنا اليمين ..

الاسرائيلي : اتدري اننا سنمزقك .. سنسحقك ؟

صوت اسماعيل : اعرف كل شيء .. امي تعرف كل شيء .. ومحمود يعرف كل شيء .. وسلمى تعرف كل شيء ..

(قطع الى سلمى)

سلمى : اعرف كل شيء منذ ان كنا نجلس قرب الساقية ، انا واسماعيل .. اعرف كل شيء ، كنا نتحدث كالنغم ، كان يحلم ، وكنت احلم ، احلامنا كانت زاهية كالربيع .. متجددة كضوء الشمس .. كنا نحلم بالقمر رغم الظلام وبالحياة المورقة رغم الموت ... كنا نحلم .. انا واسماعيل .

(اسماعيل يجلس بالقرب من سلمى بجانب الساقية)

اسماعيل : سلمى ..

سلمى : اسماعيل ..
اسماعيل : الساقية باقية ..
سلمى : انا وانت نجلس بالقرب منها كل يوم .
اسماعيل : نحلم ..
سلمى : ننسى الالم ..
اسماعيل : نحلم .
سلمى : كالاخرين .
اسماعيل : بالقمر ..
سلمى : بصفحة بيضاء منه ..
اسماعيل : تظلل ارضنا ..
سلمى : تمحو الظلام عن ارضنا ..
اسماعيل : كانت قريتنا تحلم ايضا ..
سلمى : تحلم لتظل بيضاء كصفحة القمر ..
اسماعيل : تحلم بالخلاص من العابثين ..
سلمى : من الدخلاء الغادرين ..
اسماعيل : كانت تحلم بخلاص قرانا التي سلبت ..
سلمى : والحرمات التي انتهكت ..
اسماعيل : كانت تحلم وكنا نحلم ..
سلمى : مثلها .. نريد السعادة لنا ولها ..
اسماعيل : وللاخرين الطيبين ..
سلمى : كم تسلقنا خيوط القمر .. وغنينا اغنية القمر ..
اسماعيل : ثم .. ثم تكدرت قريتنا ..
سلمى : انتهكت .. سلبت .. احرقت .. ومات ابي ..
اسماعيل : وتركنا القرية ..
سلمى : وعدت انت يا اسماعيل .. اقسمت اليمين وعدت ..
(الكاميرا تقترب من سلمى لتظل وحدها ضمن اطار الصورة)
وبقيت مع امك .. خالتي بالامس وامي اليوم ..
(قطع الى الام)
الام : اين اسماعيل الان يا سلمى .. ؟
سلمى : هناك معهم ..
الام : اقرب منا الى شجرة الليمون ..
سلمى : اقرب منا الى الساقية .. انها باقية ..
الام : ما دام الماء يجري فالساقية باقية .
سلمى : انه هناك الان .. مع محمود .. وسعيد .. ورفاقهما الاخرين ..
الام : انه سعيد الان يا سلمى . .
سلمى : سعيد لانه هناك .. ولانه عرف الطريق ..
الام : اسماعيل عرف الطريق ..
(قطع الى اسماعيل)
صوت اسماعيل : نحن نعرف كل شيء ..
الاسرائيلي : اسمع يا انت .. اصرارك هذا لا ينفعك .. معذلك سنتركك بعض الوقت .. فان اصررت على السكوت ثانية سنسكت قلبك الى الابد ..
صوت اسماعيل : تسكتون قلبي ؟ سيظل قلبي ينبض ..
(قطع الى سلمى)
سلمى : كنت اسمع دقات قلبك يا اسماعيل ، اسمعها كالناقوس .. كاللحن الساحر ، كانت تحدثني ، تحكي لي كل شيء ، لم تكن تتكلم انت ، كنت اقرأ كلامك كله في عينيك ، اسمعه من دقات قلبك، لم تكن تتكلم .. كنت تحلم .. وكنا نحلم ... بالسعادة ان نبني بيتا، ان نعيش معا ، ان ننجب طفلا .. ان نعلمه البسالة والباس والكفاح .. كنت تزرع الارض وتحلم .. ولم تكن تتكلم ..
(قطع الى اسماعيل)
صوت اسماعيل : لن اتكلم ..
الاسرائيلي : تكلم ايها المجرم ..
أسماعيل : « اتكلم » مجرم ؟ من المجرم يا شذاذ الافاق ؟ المجرم دنس ارضنا ..
(قطع الى الام)
الام : من سلبنا حقنا .. ؟
سلمى : من كدر ماء الساقية في قريتنا ؟
اسماعيل : من شوه الوجوه الجميلة ؟
سلمى : من احال الارض البيضاء الى رماد اسود .. من شردنا .. من سبى الحرائر في ديارنا ؟
الام : من حرم الام من ولدها ؟
سلمى : والحبيبة من حبيبها ؟
الام : والطفل من امه ؟
(قطع الى اسماعيل)
الاسرائيلي : لم يعد ينفع الكلام معه ..
اسماعيل : ولا الضرب ، لقد اقسمنا الا نتكلم ، اقسمنا كلنا الا نتكلم ..
الاسرائيلي : اذن سنضطر الى قتلك .
اسماعيل : ومن قال اني اريد الحياة بينكم يا ذئاب ؟
(قطع الى الام)
الام : قبل عشرين عاما .. رفض ابوه الحياة الذليلة واستشهد .. استشهد وحملني الامانة .. ان ارضع اسماعيل حليب الكرامة والبسالة .. ان ازرع في نفسه روح الرفض للذل والعبودية وقد فعلت ..
اسماعيل لن ينكس رأسه .. اسماعيل يرفض الذل والعبودية..
(قطع الى اسماعيل)
اسماعيل : اني ارفض الحياة بينكم .. ارفض البقاء ذليلا في ارض تحتلونها انتم .
الاسرائيلي : سنضطر الى قتلك .
اسماعيل : جبناء ..
الاسرائيلي : سنقتلك ..
اسماعيل : جبناء !
(صوت طلقات رشاش .. تتجمد صورة اسماعيل .. تتعالى الموسيقى .. فتمتزج بمشاهد لمأساة اللاجئين وجرائم الصهاينة .. وتظل صورة اسماعيل تطل من بين المشاهد حتى تتوقف الموسيقى)
(قطع الى الام)
الام : سلمى .
سلمى (تلتفت الى الام)
الام : ارى بقعا حمراء كالدم امامي ، ماذا تعني ؟
سلمى : بقعا حمراء كالدم ؟
الام : بقعا حمراء كالدم .. ماذا تعني ؟
سلمى : تعني ان طريقنا سيظل ملتهبا .. مخضبا بالدم ..
الام : وبعد ؟
سلمى : تعني ان اسماعيل قد انهى مهمته ببسالة .. وانه اقرب منا الى شجرة الليمون ..
(قطع الى محمود)
محمود : كنا ثمانية واصبحنا سبعة حين استشهد اسماعيل .. ثم عدنا ثمانية .. وسنصبح تسعة وعشرة ومائة والفا .. سنباشر مهمتنا .. وسنكون حذرين .. وسيكون اندفاعنا نحوهم خاطفا وسريعا .. وحين نفترق ينسى كل منا الاخر ..
(قطع الى الام)
الام : ما دام الماء يجري فالساقية باقية ..
(موسيقى الختام ـ مقطع من اغنية فيروز (زهرة المدائن) ـ الغضب الساطع آت .. الكاميرا تستعرض وجوه الشخصيات برمتها حتى نهاية التمثيلية)

يوسف العاني